

جامعة البصرة / كلية الاداب / قسم التاريخ / اسم المادة : تاريخ العرب قبل الاسلام
مدرس المادة : الاستاذ الدكتور شاكر مجيد كاظم / المرحلة الاولى / العام الدراسي

٢٠٢٢

دولة الغساسنة.

ذكر الاخباريون ان الغساسنة من قبائل الازد التي هاجرت من اليمن اثر انهزام سد مأرب ، وانهم قد سمو بالغساسنة نسبة الى عين ماء تدعى غسان اقاموا حولها ، فكل من شرب من هذا الماء سمي غسانياً . ويبدو ان الغساسنة ليسوا ابناء اب واحد او قبيلة واحدة ، وانما هم تحالف قبلي نشأت نواته الاولى قرب ماء غسان ، ثم استقر ابناؤه في الشام حيث نجحوا في اقامة دولة لهم تحت حكم ملوك من آل جفنة . وقد اشير الى انه كان يقيم في بلاد الشام قبل هجرة الغساسنة اليها قبيلة عربية من قضاة ، هم بنو ضجعم بن حماطة ابن سعد بن سليح ، وان هذه القبيلة كانت متحالفة مع الروم وتعمل على فرض النظام على القبائل العربية المقيمة في هذه الديار وتجبي منها ضريبة الخراج لصالح الروم . وقد اضطر الغساسنة الى الرضوخ لسلطة سليح وأدوا لهم الخراج . حتى اذا طال مقامهم في بلاد الشام ، ووجدوا في انفسهم القوة على مقاتلة سليح رفضوا اداء الخراج لهم وقتلوه وانتصروا عليهم . عند ذلك وجد الروم ان من مصلحتهم التحالف مع الغساسنة خشية ان يتحالفا مع الفرس ضددهم . ويظهر ان العلاقة بين الغساسنة والرم في هذه المرحلة كانت علاقة بين دولتين تربط بينهما معاهدة من نوع معاهدات الدفاع المشترك . فكان بالروم حاجة الى مساعدة الغساسنة في تأمين حدودهم ضد غارات القبائل البدوية وضمن الامن في المناطق التي يتألف غالبية سكانها من العرب ، أما الغساسنة فان بهم حاجة الى الروم في بسط سلطانهم على ابناء القبائل العربية في بلاد الشام . كما يلاحظ ان الروم في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ دولة الغساسنة كانوا حريصين على ضمان حياد الغساسنة في الحروب القائمة بينهم وبين الفرس .

الاورضاع الحضارية في دولة الغساسنة .

ان الغساسنة هم تحالف قبلي نشأ عند ماء غسان ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى بادية الشام حيث نجحوا في بسط سيادتهم على القبائل العربية الموجودة في تلك الربوع واسسوا دولتهم فيها . ويبدو من دراسة اورضاع الغساسنة في الشام انهم كانوا يعتمدون في معيشتهم اساساً على حياة الرعي . وقد اخذوا على عاتقهم حماية الحدود الشرقية لبلاد الشام والمساهمة في حروب الروم ضد الفرس الساسانيين مقابل حصولهم على منح سنوية ومكافآت نقدية وعينية من الامبراطورية البيزنطية فضلا عما يحصلون عليه من غنائم في اثناء الحروب التي كانوا يشاركون فيها . وللطابع العسكري الذي

طبع حياة دولة الغساسنة في الشام ، واشترك جميع القادرين على القتال من الغساسنة في الحروب
اصبح مفهوم (العسكر) او الجيش مرادفاً لمفهوم الشعب او الاتحاد القبلي . وتشير المصادر الى
ان عاصمة الغساسنة كانت عبارة عن معسكر (حيرثا الحارث الغساني) أي معسكره . ومن المرجح
ان هذا (المعسكر - العاصمة) كان يقع في (الجابية) بمنطقة الجولان ، ووردت اشارات لدى
الشعراء الى ان مراكز اقامة ملوك الغساسنة (جلق) وهي موضع يقع على نهر بردى بالقرب من
دمشق . ويبدو ان ملوك الغساسنة لم يكونوا يرغبون في العيش في مدينة محصنة ذات ابنية
وقصور على عادة ملوك الحضر ، وانما كانوا يفضلون التنقل والعيش في مخيمات على طريقة اهل
البادية لان ذلك يعطيهم حرية الحركة وينسجم مع الطابع العسكري لدولتهم . ومن ثم فان لا مجال
للحديث عن الناحية الفنية والعمرائية لدى الغساسنة لانهم لم يكونوا يقيمون في المدن ولم يثبت انه
كان لديهم ولع بتشيد القصور والمباني العظيمة كما كان يفعل ملوك المستقلون في الحواضر والمدن
اما من الناحية الثقافية فقد كان الغساسنة عرباً ، ومن ثم كان من الطبيعي ان تكون
لغتهم هي لغة العرب نفسها وكذلك الامر بالنسبة لحكمهم وامثالهم وادبهم وطريقة حياتهم ، لذا فقد
حفلت كتب الادب بالحديث عن صلات ملوك الغساسنة بالشعراء العرب من امثال النابغة الذبياني
وحسان بن ثابت والاعشى والمرقس الاكبر وعلقة الفحل .

وقد كان ملوك الغساسنة يدينون بالعقيدة المسيحية على المذهب اليعقوبي ، وهم لم يكتفوا
بمجرد التمسك بهذا الاعتقاد على المستوى الشخصي بل انهم دافعوا بحماسة عن اتباع هذا المذهب
، وحاولوا استخدام نفوذهم لدى قياصرة الروم من اجل تأمين الحماية لاصحاب هذا المذهب وضمن
الحرية الدينية لاتباعه . وقد اثار حماسة الغساسنة للمذهب اليعقوبي ودفاعهم عنه التخوف في
نفوس قياصرة الروم والطبقة العليا في الامبراطورية البيزنطية ، لان هذا المذهب كان مخالفاً
للمذهب الرسمي للامبراطورية . ومن ثم فقد عدت مناصرة ملوك الغساسنة له ودفاعهم عن اتباعه
نوعاً من المعارضة لسياسة الامبراطورية ومحاولة التدخل في شؤونها والتأثير في توجهاتها العامة
 . ومن المرجح ان هذا العامل كان من ابرز العوامل التي دفعت قياصرة الروم على التآمر على ملوك
الغساسنة والقضاء على دولتهم .

د . شاكر مجيد كاظم